فؤاد حمزة وقبائل المملكة العربية السعودية بين أمانة النقل والتحريف: الأشراف ذوو حسن نموذجًا

مقدمة

تُعدّ مؤلفات النصف الأول من القرن العشرين عن الجزيرة العربية والمملكة العربية السعودية من أبرز الأعمال التي ساهمت في تشكيل التصور المبكر حول القبائل والحواضر البارزة في مختلف أقاليم هذا البلد، ويأتي في مقدمتها كتاب قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة.
وعلى الرغم مما يُشاع أو يُظنّ عن أن هذا الكتاب يعتمد على عمل أصيل أو مشاهدات ميدانية — مع أنّ المؤلف لم يصرّح بذلك — فإن أي مراجعة علمية استقصائية، حتى لو كانت سريعة، لما جاء فيه وما يحيط به من مصادر تُظهر بوضوح أن معظم معلوماته، لا سيما المتعلقة بقبائل الحجاز وعسير، مستمدة من أرشيف التقارير البريطانية التي أُعدّت إبّان الحرب العالمية الأولى.
ويهدف هذا العمل المختصر إلى تقديم مراجعة تحليلية لما أورده فؤاد حمزة عن قبيلة الأشراف ذوي حسن كنموذج مبسط ومختصر عن منهجه العام، الذي شابَه الكثير من الأخطاء التاريخية، وذلك من خلال مقارنة نصوصه بالمصادر البريطانية الأصلية، مع إبراز ما شابها من تحريفات أو أخطاء في الترجمة.

ومن المهم التنويه إلى أن الغرض من هذا المراجعة النقدية ليس فقط الدفاع بشكل عام عن قبيلة الأشراف ذوي حسن والرد على المؤلف —غفر الله لنا وله— فقد سبقني في ذلك وكفاني المؤونة عدة مؤرخين وباحثين من داخل القبيلة وخارجها، منهم على سبيل المثال **كلٌّ** من المؤرخ الراحل عاتق بن غيث البلادي —رحمه الله— والباحث الشريف علي بن عبد الله الحاتمي الحسني؛ وإنما أقصد في هذه الورقات القليلة كشف مكمن الخلل **ووضع** اليد عليه وإيضاحه بالدليل الكاشف، والله من وراء القصد.

ينقسم هذا العمل إلى ثلاثة فصول:

1. الفصل الأول: مصادر فؤاد حمزة في تأليف كتابه قلب جزيرة العرب، ويُحلّل فيه مدى اعتماد حمزة على الوثائق البريطانية.

2. الفصل الثاني: تحريف المضمون وتبديل الترجمة في حديثه عن الأشراف ذوي حسن، مع عرض نماذج من التحوير في النصوص، وإرفاق تحليل وملاحظات على النص.

3. الفصل الثالث: مراجعة شاملة لكل المصادر والأسانيد الواردة في الفصل الثاني، والتحقق مما إذا كان فؤاد حمزة قد اعتمد فعلاً على المصدر الذي رصدناه أم استند إلى مصدر آخر من قائمة مصادره.

الفصل الأول :

مصادر فؤاد حمزة في تأليف كتابه قلب جزيرة العرب . الواقع وإشكالات النقل

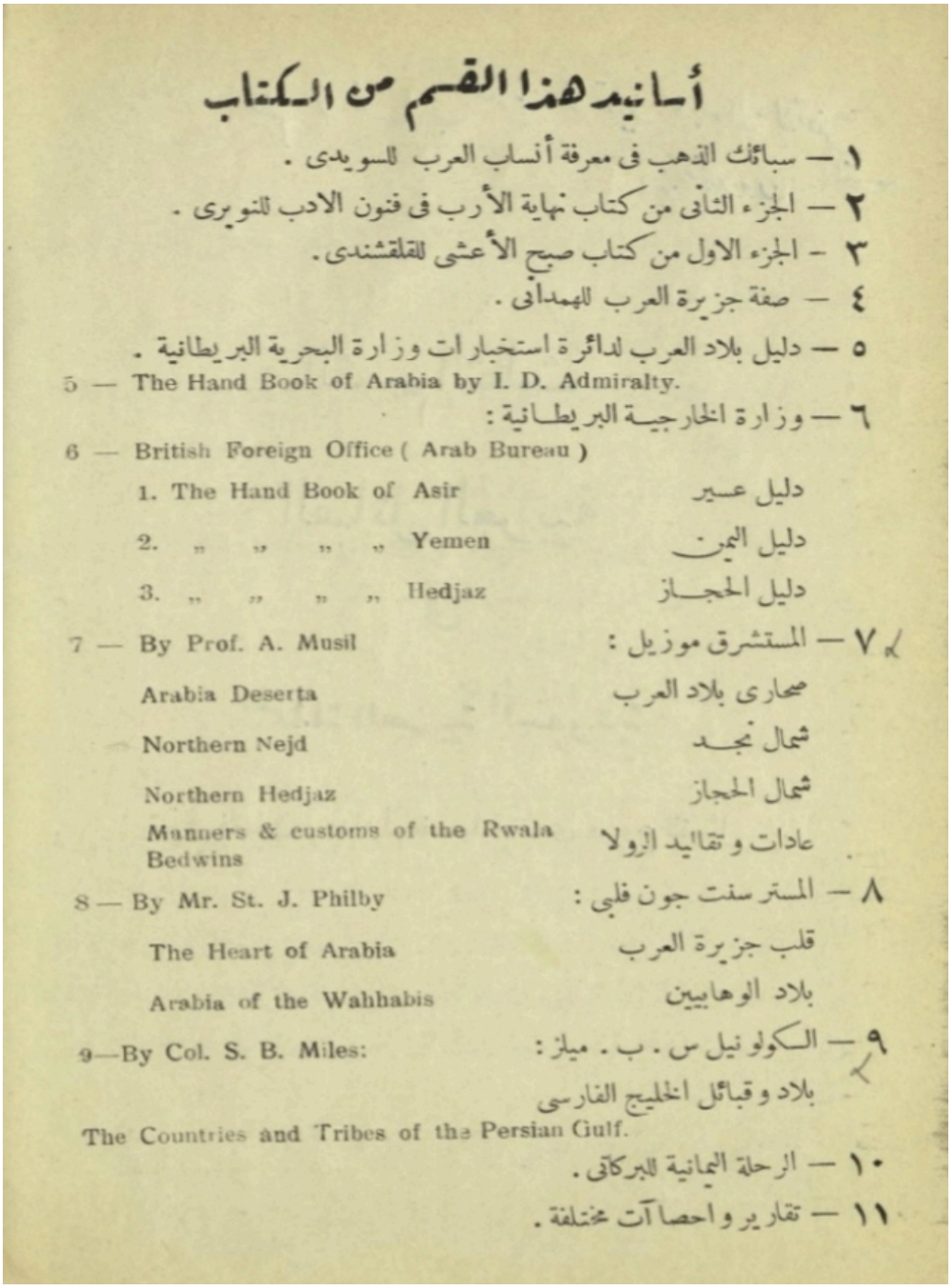

أسانيد هذا القسم من الكتاب

١ — سبائك الذهب فى معرفة أنساب العرب للسويدى .
٢ — الجزء الثانى من كتاب نهاية الأرب فى فنون الادب للنويرى .
٣ — الجزء الاول من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى .
٤ — صفة جزيرة العرب للهمدانى .
٥ — دليل بلاد العرب لدائرة استخبارات وزارة البحرية البريطانية .
5 — The Hand Book of Arabia by I. D. Admiralty.
٦ — وزارة الخارجية البريطانية :
6 — British Foreign Office (Arab Bureau)
1. The Hand Book of Asir — دليل عسير
2. „ „ „ „ Yemen — دليل اليمن
3. „ „ „ „ Hedjaz — دليل الحجاز
٧ — المستشرق موزيل : — 7 — By Prof. A. Musil
Arabia Deserta — صحارى بلاد العرب
Northern Nejd — شمال نجد
Northern Hedjaz — شمال الحجاز
Manners & customs of the Rwala Bedwins — عادات و تقاليد الرولا
٨ — المستر سنت جون فلبى : — 8 — By Mr. St. J. Philby
The Heart of Arabia — قلب جزيرة العرب
Arabia of the Wahhabis — بلاد الوهابيين
٩ — الكولونيل س . ب . ميلز : — 9—By Col. S. B. Miles:
بلاد و قبائل الخليج الفارسى
The Countries and Tribes of the Persian Gulf.
١٠ — الرحلة اليمانية للبركاتى .
١١ — تقارير و احصاآت مختلفة .

1

[1] قائمة مراجع فؤاد حمزه للطبعة الأولى الثانية

في مقدمة القسم الثاني من كتاب قلب جزيرة العرب، يشير فؤاد حمزة بنفسه إلى اعتماده على مجموعة من المصادر الأجنبية، تشمل كتيبات عسكرية، وعددًا من كتب الرحالة والمستشرقين الذين زاروا جزيرة العرب خلال العقود الأولى من القرن العشرين. وقد لجأ إلى هذه المراجع في سبيل دعم مادته بالمعلومات المتوفرة آنذاك عن المنطقة.

ولا شك أن هذه النوعية من المصادر تحتفظ بقيمة معرفية مهمة، خصوصًا في ظل ندرة التوثيق المحلي لتفاصيل الحياة السياسية والقبلية في تلك الفترة. فهي تكشف عن مشاهدات ميدانية من زوايا مختلفة، وتسلّط الضوء على أحداث وشخصيات ربما لم تنل نصيبها الكافي في المصادر المحلية العربية.

لكن التعامل مع هذه المادة يتطلب أمرين لا بد منهما:
أولهما، أن تُقرأ النصوص الأجنبية بوعي محلي وحس تاريخي متزن، يضع كل نص في سياقه، ويُدرك الخلفية السياسية أو الاستعمارية التي كُتبت فيه.
وثانيهما، أن يتحلى الناقل بالأمانة والدقة، فيحرص على ضبط الترجمة قدر الإمكان، ويبتعد عن الاجتزاء والتصرف المتعجل، لأن الترجمة المخلّة قد تُنتج انطباعات مغلوطة لا تعكس حقيقة النص الأصلي.

ومن المؤسف أن هذا الجانب لم يكن واضحًا دائمًا في عرض فؤاد حمزة؛ فقد وقع في بعض مواضع الكتاب نقل غير دقيق، أو تصرف حرّ أضعف دلالة المعلومة الأصلية، أو اختزال أخلّ بالسياق العام للمصدر. كما أن عدم الإشارة التفصيلية إلى الصفحات أو المواضع التي نقل منها، يجعل من الصعب التحقق أو المراجعة الموضوعية.

ولذلك، فإن النظر في تلك المصادرالأصلية بات أمرًا ضروريًا لمن أراد أن يفهم حقيقة ما كُتب عنها، لا كما ورد منقولًا بتصرّف، بل كما هي في صيغتها التي خطّها أصحابها.

الفصل الثاني

تحريف المضمون وتبديل الترجمة: فؤاد حمزة ومصادره الأجنبية في حديثه عن الأشراف ذوي حسن.

في سياق حديثه عن القبائل المقيمة على سواحل تهامة الحجاز، أفرد فؤاد حمزة فقرة في الصفحة (146) من كتابه قلب جزيرة العرب تناول فيها قبيلة الأشراف ذوي حسن. وقد تبيّن لكاتب هذا المقال – بعد مراجعة دقيقة – أن المعلومات الواردة في تلك الفقرة مستندة إلى مصادر بريطانية، نقلها المؤلف عن عددٍ من الكتيّبات والتقارير العسكرية والاستخباراتية، التي تتشابه في صياغتها ومادتها، لكونها جميعًا منقولة في الأصل عن Handbook of Arabia.

وهذه الكتيّبات هي:

1. دليل عسير للكابتن كيناهان كورنواليس (Kennahan Cornwallis)، الصادر عام 1916م.

2. شخصيات من الجزيرة العربية، إصدار مكتب المخابرات البريطاني – فرع القاهرة، 1917م

3. معجم ودليل الجزيرة العربية، الصادر عن قسم الاستخبارات البحرية البريطانية، مايو 1917م

وسنُبيّن – بعون الله – في هذا الفصل مواضع الاقتباس، سواء المباشر أو غير المباشر، وما ترتّب عليها من تحريف في المعنى أو اختلاف في الصياغة.

1 نص فؤاد حمزة[2]

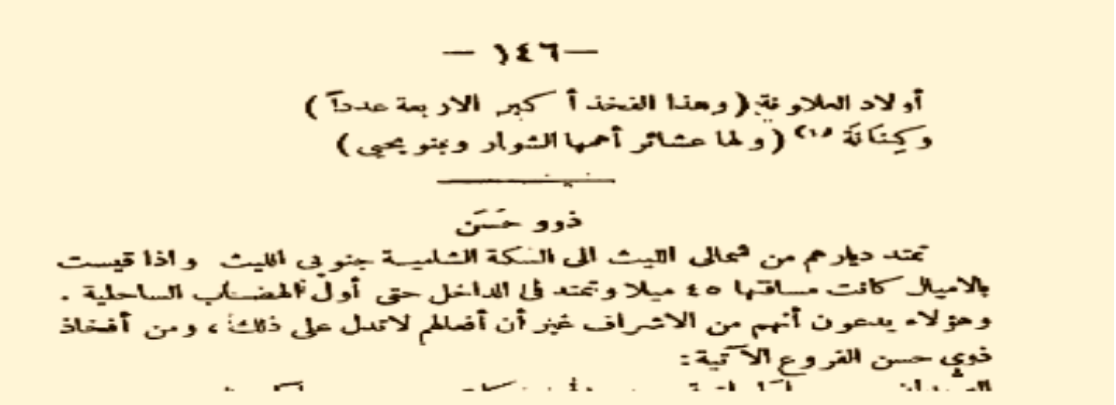

— ١٤٦ —

أولاد العلاونة (وهذا الفخذ أكبر الاربعة عدداً)
وكِنانة [١٠] (ولها عشائر أهمها الشوار وبنو يحيى)

ذوو حَسَن

تمتد ديارهم من شمالي الليث الى السكة الشامية جنوبي الليث واذا قيست بالاميال كانت مسافتها ٤٥ ميلا وتمتد في الداخل حتى أول الهضاب الساحلية. وهؤلاء يدعون أنهم من الاشراف غير أن أفعالهم لا تدل على ذلك، ومن أفخاذ ذوي حسن الفروع الآتية:

ذوو حسن

تمتد ديارهم من شمالي الليث إلى السكة الشامية جنوبي الليث، وإذا قيست بالأميال كانت مسافتها ٤٥ ميلاً، وتمتد في الداخل حتى أول الهضاب الساحلية. وهؤلاء يدّعون أنهم من الأشراف، غير أن أفعالهم لا تدل على ذلك.

[2] قلب جزيرة العرب، 1967، ص146

2 ص مكتب القاهرة - شخصيات من الجزيرة العربية 1916م[3]

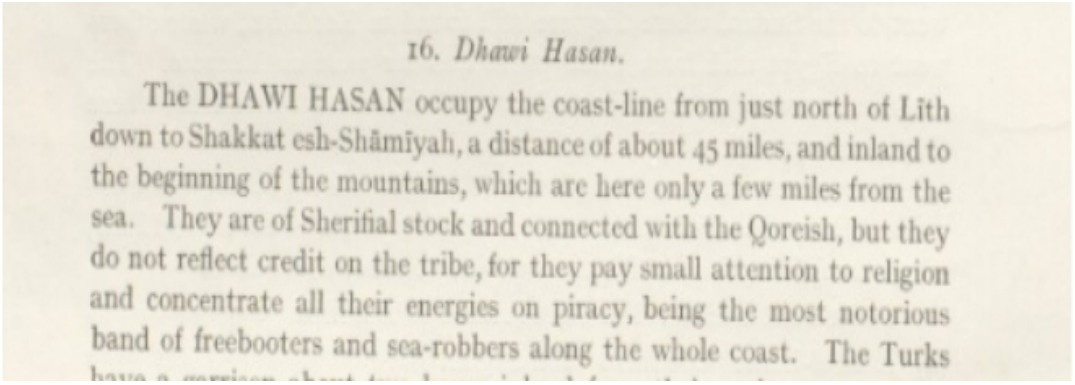

16. *Dhawi Hasan.*

The DHAWI HASAN occupy the coast-line from just north of Lîth down to Shakkat esh-Shâmîyah, a distance of about 45 miles, and inland to the beginning of the mountains, which are here only a few miles from the sea. They are of Sherifial stock and connected with the Qoreish, but they do not reflect credit on the tribe, for they pay small attention to religion and concentrate all their energies on piracy, being the most notorious band of freebooters and sea-robbers along the whole coast. The Turks

الترجمة

ذوو حسن

يحتل ذوو حسن الخط الساحلي من شمال الليث نزولًا إلى السكة الشامية، مسافة حوالي 45 ميلاً، وداخليًا حتى بداية الجبال، التي تقع هنا على بعد أميال قليلة فقط من البحر. وهم من أصول شريفة ويرتبطون بقريش، ولكنهم لا يعكسون الفضل في القبيلة.....

---

[3] شخصيات من الجزيرة العربية (1916، ص174):

3 نص كيناهان كورنواليس - دليل عسير handbook asir[4]

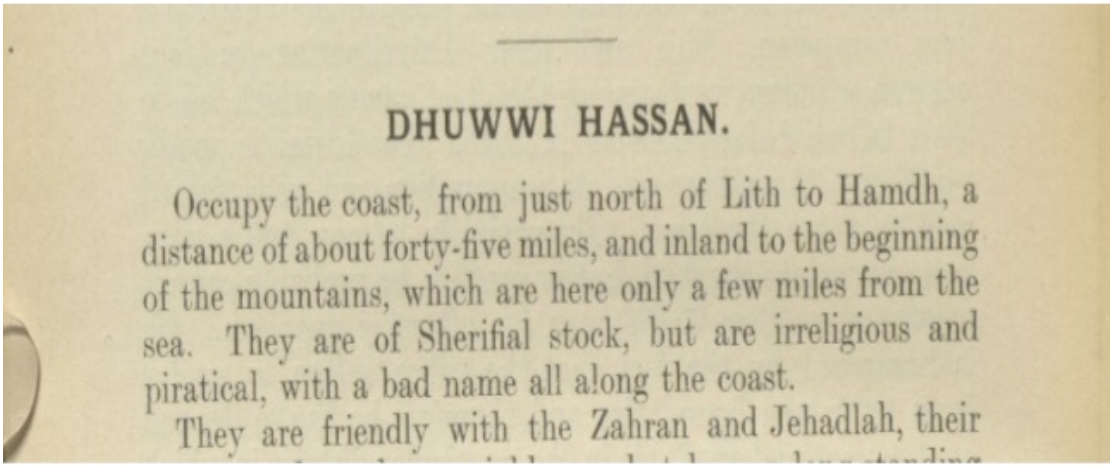

DHUWWI HASSAN.

Occupy the coast, from just north of Lith to Hamdh, a distance of about forty-five miles, and inland to the beginning of the mountains, which are here only a few miles from the sea. They are of Sherifial stock, but are irreligious and piratical, with a bad name all along the coast.

They are friendly with the Zahran and Jehadlah, their

الترجمة

"ذوو حسن

يحتل ذوو حسن الساحل من شمال الليث إلى حمدانة، مسافة حوالي 45 ميلاً، ويمتدون داخليًا إلى بداية الجبال، التي لا تبعد هنا إلا أميالاً قليلة عن البحر. وهم من أصول شريفة، لكنهم قراصنة.....

[4] دليل عسير (1916، ص28):

4 نص الاستخبارات البحرية البريطانية - معجم الجزيرة العربية

5

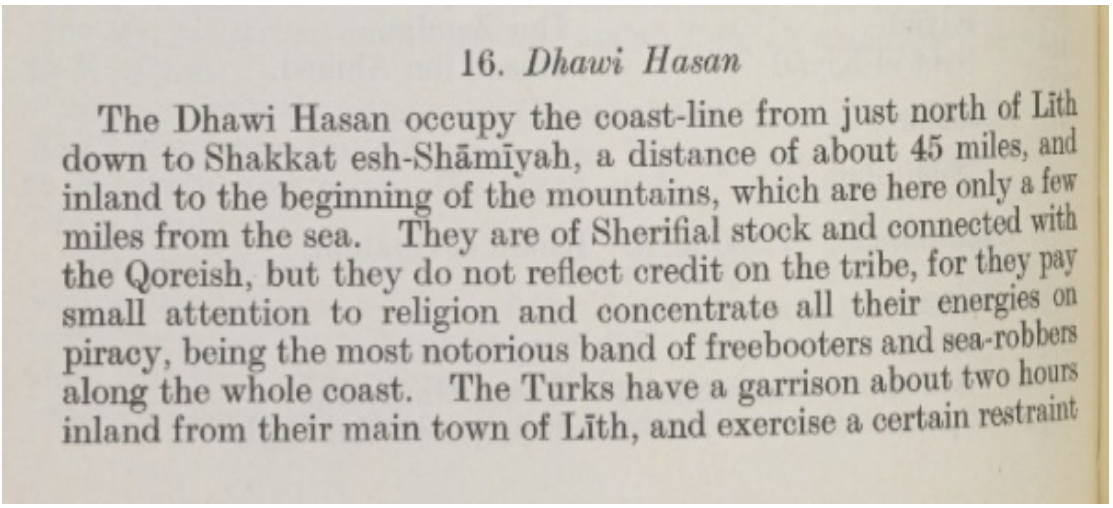

16. *Dhawi Hasan*

The Dhawi Hasan occupy the coast-line from just north of Līth down to Shakkat esh-Shāmīyah, a distance of about 45 miles, and inland to the beginning of the mountains, which are here only a few miles from the sea. They are of Sherifial stock and connected with the Qoreish, but they do not reflect credit on the tribe, for they pay small attention to religion and concentrate all their energies on piracy, being the most notorious band of freebooters and sea-robbers along the whole coast. The Turks have a garrison about two hours inland from their main town of Līth, and exercise a certain restraint

الترجمة

"ذوو حسن

يحتل ذوو حسن الخط الساحلي من شمال الليث مباشرة نزولًا إلى السكة الشامية (الشاقة)، على مسافة حوالي 45 ميلاً، وداخليًا حتى بداية الجبال، التي تقع هنا على بعد أميال قليلة فقط من البحر. وهم من أصول شريفة ويرتبطون بقريش، ولكنهم لا يعكسون.....

[5] معجم الجزيرة العربية ،ص426

تحليل و ملاحظة للفصل الثاني

تكشف المقارنة التي أجريناها بين نص فؤاد حمزة والمصادر العسكرية الأجنبية الأصلية التي يُفترض أنه استند إليها بما لايدع مجالا للشك بأنه اعتمد على أحد تلك النصوص الثلاثة أو عليها جميعًا، لكنه بدّل في العبارات بما أخلّ بالمقصود الأصلي. فبينما جاءت التقارير البريطانية بصيغة وصفية عامة، يغلب عليها الطابع الاستخباراتي أو العسكري، نجد أن فؤاد حمزة تجاوز حدود الترجمة والتفسير، ليطلق أحكامًا قيمية مباشرة، كما في عبارته:

"هؤلاء يدّعون أنهم من الأشراف، غير أن أفعالهم لا تدل على ذلك".
"وهي صيغة لا تمت بصلة إلى روح النص الأصلي ولا إلى أسلوبه، إذ جرى فيها تحويل الجملة الاعتراضية إلى وصف تابع لما قبله من جهة النسب

الفصل الثالث:

تقييم وتحقيق مصادر فؤاد حمزة في فصله الثاني، للتحقق مما إذا كان فعلاً استند إلى المصدر الذي رصدناه أم اعتمد على مصدر آخر من قائمة مراجع كتابه.

يهدف هذا الفصل إلى إثبات أن فؤاد حمزة قد استند، فيما دوّنه عن قبيلة الأشراف ذوي حسن، إلى أحد النصوص الأجنبية الثلاثة التي أشرنا إليها سابقًا، دون الرجوع إلى أيٍّ من المصادر التي أدرجها ضمن قائمة مراجعه في قسم الأسانيد.

ولتعزيز هذا الاستنتاج، سنعتمد على مراجعة جميع المراجع التي يُفترض أنها مصادره الأولية، متجاوزين المصادر الأربعة المتقدمة، والتي تعود إلى فترة زمنية مبكرة، مثل: سبائك الذهب، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى، وكتاب الهمداني.

فهذه الكتب إما متقدمة زمنيًا، أو منقولة بالكامل عن مؤلفات أقدم، ولا تحتوي على مادة تفيد الباحث فيما نريد إيراده وبيانه هنا.

وعليه، سيكون اعتمادنا على بقية مصادره، التي يُفترض أن تشير إلى المنطقة وقبائلها، وهي كما يلي:

1 كتيبات الحرب وزارة الخارجية البريطانية

A_. دليل بلاد العرب – الدائرة الاستخباراتية لوزارة البحرية البريطانية

(The Hand Book of Arabia)

يتكون هذا الدليل من عدة مجلدات، جمعته وكالة الاستخبارات البريطانية ما بين الأعوام 1908م إلى 1917م. والغاية من إعداده كانت توفير مرجع شامل سياسي وجغرافي واقتصادي عن شبه الجزيرة العربية، ليُعين المقيميين السياسيين والدبلوماسيين البريطانيين في منطقة الخليج، ويساعد الحكومة البريطانية في إحكام السيطرة على المنطقة.

يُعَدّ هذا المعجم ذا دقة كبيرة، إذ أورد معلومات دقيقة عن معظم القرى والمدن، وتعريفًا بأهلها، وميولهم المذهبية والسياسية، ومعاشهم، وأعداد خيامهم، وزعمائهم، وعدد خيولهم وبنادقهم، وغيرها.

وقد أشار هذا المعجم في المجلد الأول إلى الأشراف ذوي حسن في تسعة مواضع:

ص80: ذكر وجود علاقات ودية بين الجحادلة وذوي حسن، وهم جيرانهم من الجنوب.

ص109: أشار إلى حدود قبيلة ذوي حسن مع زُبيد حرب.

ص142: ذوي حسن وذوي بركات يعدّان من عشائر الأشراف.

ص416: لم يعودوا يقيمون في مكة بل عاد لهم كيان مستقل شمال غرب عسير.

ص427: وردت عداوات بين الأشراف ذوي بركات وذوي حسن.

ص435: يحتلون الساحل من شمال الليث إلى عروج بالشاقة الشامية.

ص436: كرههم للأتراك والشريف.

ص484: ورد أن حدودهم تتلاقى مع زهران.

ص487: تصل غزواتهم إلى مناطق بعيدة.

وفي المجلد الثاني – ص54: ورد أن الطريق الساحلي البري بين مكة وعدن يمر بأراضي ذوي حسن، وهي ذات مساحة شاسعة، مما يجعل المرور منها غير آمن.

كذلك وردت خريطة بريطانية تعود لعام 1916م تُظهر الطرق البرية القديمة في جنوب الجزيرة العربية، وتُبيّن حدود الأشراف ذوي حسن بوضوح.

B. دليل الحجاز (Handbook of Hejaz)

أعدّه الرائد البحري ديفيد جورج هوجارث، مدير المكتب العربي بالقاهرة التابع للهند الشرقية، في يونيو 1916م.

وقد أشار فيه إلى الأشراف ذوي حسن في خمسة مواضع:

ص25: ذوي حسن وذوي بركات من قبائل الأشراف الـ21، وهم منضوون الآن كقبيلة واحدة شمال غرب عسير.

ص26: ذوي حسن في أقصى بلاد تهامة من الشمال.

ص56: تحديد مناطقهم وطرقهم.

ص60: الجحادلة ودودون مع ذوي حسن وبني فهم.

ص118: ذوي حسن يجعلون الطريق الساحلي غير آمن.

C . كتيب اليمن (Handbook of Yemen)

أعده المكتب العربي في القاهرة في 15 يناير 1917م، وقد جمع مادته كل من الرائد كورنووليس والرائد البحري هوجارث. وهو من الكتيبات المعدّة لأركان حرب الأميرالية البريطانية.

ولم يرد في الكتيب أي تفصيل عن الأشراف ذوي حسن، سوى ما يظهر من خلال خريطة تشير إلى موقعهم شمال إقليم عسير وجنوب مكة المكرمة، وهي محفوظة لدى ضمن بحث قيد التحقيق بعنوان:

_أشراف ذوي حسن أهل الشاقة في الخرائط القديمة 1740–1975م.

2. ألويس موزيل – في الصحراء العربية

ركز هذا المؤلف، موزيل في الصحراء العربية، على شمالي الجزيرة العربية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين. صدر الكتاب على شكل رحلة دوّنها المستشرق والمستعرب التشيكي ألويس موزيل، المعروف محليًا باسم "السيد موسى الرولي" – وهو الاسم الذي أُطلق عليه من قِبل شيخ قبيلة الرولة.

الكتاب ترجمه للعربية الأستاذ رزق الله بطرس، وصدر عن شركة الوراق للنشر المحدودة عام 2011م.

عرف موزيل بكونه الرائد الأوروبي الذي عاش طويلًا في شمال الجزيرة متنقلاً بين المدن والقبائل، خاصة بين الأردن وسوريا والعراق والجزيرة العربية. ولد عام 1868م في ما يُعرف اليوم بجمهورية التشيك، وتوفي عام 1944م. بدأ علاقته المبكرة بالمنطقة حين زار بيروت في العشرينيات من عمره، للدراسة، وكتب معظم أعماله بالألمانية، وترجم بعضها لاحقًا إلى الإنجليزية.

ولم يشر موزيل – لا تصريحًا ولا تلميحًا – إلى الأشراف ذوي حسن، ولا إلى بلدة الليث أو الشواق، من قريب أو بعيد.

3. جون فيلبي
(3 أبريل 1885 – 30 سبتمبر 1960م)
– مستشرق وضابط استخبارات بريطاني، له مساهمات بارزة في الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط. أعلن إسلامه عام 1930م، وتسمّى باسم "عبدالله".
وقد أحال له المؤلف فؤاد حمزة كتابين من مؤلفاته، هما: قلب جزيرة العرب وبلاد الوهابيين. ومن الملاحظ أن هذين الكتابين لم يتطرّق فيهما جون فيلبي إلى قبيلة الأشراف ذوي حسن، ولم يذكرهم في أي من مؤلفاته الأخرى سوى في كتابه مرتفعات الجزيرة العربية الصادر عام 1936م. وقد أشار فيلبي في هذا الكتاب إلى القبيلة في عدة مواضع، منها: سيطرتهم على أودية الليث ونسبهم الهاشمي الرفيع.

4. بلاد وقبائل الخليج الفارسي – الكولونيل س. ب. مايلز
ألّف هذا الكتاب بين عامي 1875–1879م أثناء عمله قنصلًا في مسقط، ويتكون من 10 فصول، جميعها عن:

تاريخ عمان.

قبائل الخليج.

التجارة البحرية.

جزر وموانئ الخليج.

ولا يحتوي الكتاب أي إشارة لبلاد الحجاز او تهامة أو قبائلها،

5. الرحلة اليمانية – الشريف شرف بن عبدالمحسن البركاتي

دُوّنت وقائع هذه الرحلة عام 1911م، وسجّل فيها الشريف شرف مشاهداته في طريق الجيش الأميري بقيادة الشريف حسين، وتحدّث عن المعارك ضد الإدريسي.
وقد أشار إلى الأشراف ذوي حسن في عدة مواضع، وذكر بعض أعيانهم الذين قدموا لمعسكر الشريف حسين في وادي عليب بالشاقة اليمانية، كما ألحق كتابه بملحقات نسبية وجغرافية مهمة.
ورغم أهمية هذا الكتاب وكونه مصدرًا مهما إلا أن فؤاد حمزة لم يسنده ولم يعتمده مرجعًا في حديثه عن اغلب قبائل المنطقة

الخاتمة

يتّضح من خلال مراجعة ما أورده فؤاد حمزة عن قبيلة الأشراف ذوي حسن في كتابه قلب جزيرة العرب أننا أمام نصٍّ يفتقر إلى الدقة والأمانة العلمية؛ فلا هو ترجمة أمينة، ولا عرضًا موثّقًا للمصادر، بل نقلًا مضطربًا ومشوَّهًا لمادة أجنبية. فقد كشفت المقارنة النصّية أنه تجاوز أخطاء الترجمة التقريبية أو الظلّية إلى المساس بالمعنى الأصلي، مما أوقعه في أخطاء كان لا بدّ من تفنيدها والردّ عليها بما يقتضيه التدليل العلمي.

كما أثبتت مراجعة قائمة ما أسند إليه، واعتمد عليه في باب «القبائل»، خلوَّها من أي نص يدعم مزاعمه بشأن ما ذهب إليه فيما يخص قبيلة الأشراف ذوي حسن، مما يؤكد أنه لم يستند إلى تحقيق علمي، بل اكتفى بنقلٍ متعجِّل ومشوَّه يخالف الأمانة العلمية وأقلَّ مقتضيات النقل المنهجي الرصين.

والحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم.

كتبه الشريف عبدالعزيز بن عبدالله آل عجلان القاسمي
الشواق. مكة المكرمة. المملكة العربية السعودية 2024

المراجع:

قلب جزيرة العرب – فؤاد حمزة، شخصيات من الجزيرة – المخابرات البريطانية، دليل عسير – كورنواليس، معجم الجزيرة – استخبارات البحرية، في الصحراء – موزيل، دليل العرب – البحرية البريطانية، دليل الحجاز – هوجارث، تقارير – الخارجية البريطانية، دليل اليمن – كورنواليس وهوجارث، – مرتفعات الجزيرة – فيلبي – الخليج وقبائله – مايلز، الرحلة اليمانية – شرف البركاتي.